من أعلام المسلمين

محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١١) هـ

د. إبراهيم محمد السلقيني
عميد كلية الدراسات الإسلامية والعربية - دبي

أغنى علماؤنا الأعلام أمثال محمد بن جرير الطبري المكتبة الإسلامية بالموسوعات الضخمة في العلوم المختلفة التي جعلت المسلمين يملكون ثروة علمية كبيرة لا تملكها أمة من أمم الأرض، وذلك بفضل الجهود الجبارة، والعزائم الخارقة، والقلوب المؤمنة الطاهرة، والنفوس الزكية التي وهبت وجودها وكل مالديها للاسلام وعلومه.

لقد بلغ هؤلاء الأئمة الذروة في العلم بلا تشجيع يصنع لهم، أو مكافأة مادية تدر عليهم، إنما كان هدفهم مما ركبوا فيه الصعب والذلول: خدمة دينهم، وإرضاء ربهم، ونشر سنة نبيهم، وعلوم إسلامهم، وحينما ننظر إلى تلك المؤلفات تطالعنا كثير من روائع العلوم والفنون، فلا نملك إلا أن نعجب ونفخر ونقول: رحم الله رجالاً خلفوا لمن أتى بعدهم أنفس ما يمكن لبشر أن يخلف؛ بل نتساءل كيف مكنتهم أوقاتهم وأعمارهم وظروفهم أن يبدعوا كل هذا الابداع، ويكتبوا مثل هذه الكتب بل كيف استطاع الواحد منهم أن يؤلف عشرات الكتب بل المئات؟ ومثلنا يبذل جهده لإخراج مؤلف واحد، يقضي في تأليفه سنوات، وقد لا يصل إلى بعض المستوى الذي وصل إليه أولئك العلماء، مع أننا في زمن تحققت فيه أسباب الراحة، وتوافرت فيه وسائل الطباعة والنشر، وتيسرت للكاتب المصادر المختلفة. وأعود فأقول: إن قوة الإيمان والتقوى، وصحوة الضمير، والشعور بالمسئولية، وشدة الصبر تعليل واضح لوفرة الانتاج وجودته.

وأن طالب العلم إذا بذل جهده في الطلب والتحصيل، وتحمل المشاق والمتاعب، وغالب الصعاب والعقبات، لا يخيب الله مسعاه، ولا يهضم حقه، ولا يتخلف عن التفوق والنبوغ، ومن كانت بدايته محرقة كانت نهايته مُشرقة؛ وإن من جوَّد وأتقن ما يزاوله في أمور الدين أو أمور الدنيا نجح وأفلح، فكيف بطالب العلم الذي تضع له الملائكة أجنحتها رضاءً بما يصنع.

لقد كان علماؤنا رضي الله عنهم يقطعون الفيافي والقفار في الهواجر

والليالي مشيا على الأقدام، ويقعون في المتاعب والمخاطر حتى يلقوا عالماً، أو يسمعوا محدثاً، أو يأخذوا عن فقيه، يفعلون ذلك كله وهم صامتون، فلا تشهد منهم غرور المغرورين كالذي نراه اليوم من بعض المتعالمين.

ورغم أنهم كانوا متباعدي الديار، مختلفي البيئات والأقطار، فيهم العربي والعجمي، والمصري والشامي، والمشرقي والمغربي، والخراساني والعراقي والتركي، والأبيض والأسود، فإننا لا نلمح في آثارهم من المفارقات أي أثر، ذلك لأن الإسلام هو الذي سواهم فأحسن تسويتهم، وصقلهم فوحّد سيرتهم، وكونهم هذا التكوين الفريد، ولسان حال كل واحد منهم يقول :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا انتسبوا لقيس أو تميم

إن هؤلاء الأعلام لم يدونوا علوم الإسلام العظيم على ضفاف الأنهار، وتحت ظلال الأشجار والثمار، وإنما دونوها باللحم والدم، وسهر الليالي على السراج الذي لا يكاد يضيء نفسه.

واليوم تيسرت السبل، ولانت الوسائل، وقربت المسافات، وطويت أبعاد الزمان والمكان، ومع ذلك فترت العزائم وضعف النتاج، وكثر المدعون، مع كثرة الشطط، وتجهيل السلف!

من أولئك الأعلام الذين كان لهم حظ عظيم من قوة الايمان، وحرارة العقيدة، وحدة الذكاء، وقوة الحافظة، وتوقد الذهن، والصبر على العلم، والتحمل في سبيله الإمام الأجل (محمد بن جرير الطبري) أحد كبار العلماء والمجتهدين، والمفسرين، والمؤرخين، الذين أسست مذاهبهم، ودونت آراؤهم، غير أن مذهبه الفقهي انقرض بعد القرن الرابع الهجري بانقراض أتباعه وأصحابه، وسوف يكون الكلام بإيجاز على الأمور الآتية :

نسبه وكنيته ونسبته ـ ولادته ونشأته ـ صفاته واخلاقه وعاداته ـ طلبه للعلم ورحلته لأجله ـ شيوخه وأساتذته ـ فقهه واجتهاده ـ تلامذته، والرواة عنه، وحاملو علمه ـ أصحابه المتفقهون على مذهبه ـ محنته ورميه بالابتداع والالحاد ـ وفاته ودفنه ـ أقوال الأئمة فيه، وثناؤهم عليه ـ أشهر ما ترك لنا من مؤلفات.

أولاً ـ نسب الطبري وكنيته ونسبته :

هو محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري الآملي البغدادي، إمام المفسرين، وخاتم المجتهدين، وعظيم المؤرخين، وأحد كبار المحدثين في القرن الثالث الهجري، وأوائل القرن الرابع.

وما ورد في كشف الظنون صفحة (٣٣) من أن اسم أبيه محمد فخطأ وتحريف ناسخ أو طابع تدورك فيما بعد صفحة (٥٩٣ ـ ٥٩٤)(١)؛ وذكر الحافظ ابن الجوزي، وبدر الدين العيني: أن جده الأول كثير لا يزيد، وهو تسامح منهما.

وقد اختلف المحدثون والمؤرخون في أن جده الثاني كثير أو خالد والذي اختاره الجمهور ومنهم الخطيب وياقوت والسبكي وغيرهم أنه كثير، واقتصروا على ذكره واختار غيرهم كابن خلكان وطا شكبري زاده والسيد جعفر الكتاني أنه خالد.

ولا خلاف في نسبته، وأن اسمه محمد، وأن كنيته أبو جعفر، ونسبته الأولى إلى (طبرستان)، وهي ولاية وبلدان واسعة يشملها هذا الاسم مجاورة لجيلان، ونسبته الثانية إلى (آمل) قصبة طبرستان وأكبر مدينة بها؛ ونسبته الثالثة إلى بغداد.

ثانياً : ولادة الطبري ونشأته :

ولد الطبري في مدينة (آمل) في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين هجرية، أو أول خمس وعشرين ومائتين. وأكثر من ولد (بآمل) اشتهرت نسبتهم إلى طبرستان؛ وقد وقع الشك في تاريخ ولادة الطبري، وذكر أن السبب في ذلك هو أن أهل بلده كانوا يؤرخون بالأحداث لا بالسنين، فأرخوا مولده بحدث وقع في البلد، ثم اختلفوا في أنه سنة (٢٢٤)، أو أول سنة (٢٢٥)؛ غير أن جمهور الكاتبين عنه، والمؤرخين له قد اقتصروا على التاريخ الأول.

---

(١) كشف الظنون : ص : (٣٣، ٥٩٣، ٥٩٤).

وقد نشأ بآمل وتربى فيها برعاية والده الذي ترجح أنه من عنصر عربي؛ وإن زعم المستشرق (بروكلمان) أنه من عنصر أعجمي.

ثالثاً : صفات الطبري وأخلاقه وعاداته :

أ ـ الصفات الشخصية : كان الطبري أسمر مائلاً إلى الأدمة، نحيف الجسم، مديد القامة، أسود الشعر، فصيح اللسان قوى البيان، لم يكثر شيبه وبياضه، كبير اللحية، حسن الصوت والأداء.

ب ـ الأخلاق : وكان ذا زهد وقناعة، وورع وديانه، حصوراً لا يعرف النساء، شديد الاباء، لا يقبل عطية الأمراء، عزوفاً عن الدنيا، غير ملتفت إلى أبنائها، رافضاً لتولية القضاء، عظيم الاحترام للعلم وأهله.

ذكر السبكي في (طبقات الشافعية)(١): أنه لما تقلد الخاقاني الوزارة وجه إلى ابن جرير الطبري بمال كثير فأبى أن يقبله، فعرض عليه القضاء فامتنع، فعاتبه أصحابه، وطعنوا في ان يقبل ولاية المظالم، فانتهرهم وقال: قد كنت أظن أني لو رغبت في ذلك لنهيتموني عنه.

وقال أبو علي الطوماري في (لسان الميزان)(٢) : كنت مع أبي بكر بن مجاهد فسمع قراءة ابن جرير فقال: ما ظننت أن الله تعالى خلق بشراً أحسن منه يقرأ هذه القراءة، وقال أحمد بن كامل القاضي تلميذ الطبري كما في معجم الأدباء)(٣): ما سمعته قط لاحناً، ولا حالفاً بالله عز وجل.

جـ ـ العادات : وكان من عادة الطبري أيضا(٤) أنه يصلي الظهر في بيته، ويكتب في تصنيفه إلى العصر، ويجلس للناس يقرىء ويقرأ عليه إلى المغرب، ثم يجلس للفقه إلى العشاء الآخرة، ثم يدخل منزله، وقد قسم ليله ونهاره في مصلحة نفسه ودينه والخلق.

---

(١) طبقات الشافعية (ج ٢ ـ ص ١٣٨).
(٢) لسان الميزان (ج ٥ ـ ص ١٠٢).
(٣) معجم الادباء (ج ١٨ ـ ص ٩٠ ـ ٩١).
(٤) معجم الأدباء (ج ١٨ ـ ص ٩٢).

وقد نقل ياقوت الحموي في معجم الأدباء عن أحمد بن كامل القاضي ما يبين الكثير من صفات الطبري وعاداته العامة والخاصة، فمن أراد التوسع في ذلك فليرجع اليه.

رابعاً : طلب الطبري للعلم ورحلته من أجله :

تربى الطبري تربية دينية، ونشأ نشأة علمية، فاهتم منذ الصغر بالعلم وطلبه، والخروج في سبيل أخذه وروايته، وساعده على ذلك عدم زواجه

وقد فتح الله عليه، حتى حصل الكثير من العلم، وأصبح من كبار الأئمة، وخيار علماء الأمة الذين يرحل إليهم، ويؤخذ العلم عنهم.

ولقد حفظ القرآن الكريم في بلده، وأخذ العلم والحديث عن أهله، ثم رحل عن بلده في طلب العلم سنة ست وثلاثين ومائتين وهو ابن اثنتي عشرة سنة كما قال مسلم بن قاسم(١) أو رحل وله عشرون سنة كما قال ابن الجزري. وهكذا رحل إلى الافاق، وأكثر التطواف، ووصل إلى البلدان النائية، فسمع عن شيوخها، وقد رحل - في أوائل رحلته - إلى مدينة السلام (بغداد) رغبة في السماع من الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل، فلم يتفق ذلك له لموت الامام احمد قبل دخوله إليها، وأقام الطبري مدة، بها، وأكثر الكتابة عن شيوخها.

ثم انحدر الى البصرة، فسمع ممن كان باقياً فيها من أهل العلم والحديث في وقته، ومر في طريقه إليها بواسط، وكتب عن علمائها.

ثم سار إلى الكوفة وأخذ العلم عن كبارها.

ثم عاد الى بغداد، فلزم المقام بها مدة، وتفقه بها وكتب، وأخذ علوم القرآن وكتب مسند يعقوب بن ابراهيم الدورقي.

ثم خرج إلى مصر، وكتب في طريقه إليها عن المشايخ بأجناد الشام والسواحل والثغور، وأكثر من الكتابة.

---

(١) لسان الميزان (ج ٥ - ص ١٠٢).

ثم صار الى فسطاط مصر في سنة ثلاث وخمسين ومئتين هجرية وكان بها بقية من الشيوخ، وأهل العلم، فأكثر عنهم الكتابة من علوم الامام مالك، والامام الشافعي، وغيرهما.

ثم عاد إلى الشام، ثم رجع إلى مصر، وكان بها وقت دخوله إليها الأديب أبو الحسن بن سراج المصري المتوفي سنة ثمان وثلاثمائة هجرية فتذاكرا في العلوم المختلفة والأدب والشعر فبان فضل الطبري في ذلك كله.

وقد لقي بمصر الامام الأجل اسماعيل بن يحيى المزني صاحب الامام الشافعي، ومختصر أقواله المتوفى سنة أربع وستين ومائتين هجرية، فتكلما في أشياء كثيرة منها بحث الاجماع الذي هو ثالث الأدلة الشرعية، وقيل انهما قد تناظرا في بعض المسائل الفقهية، وظهر عليه الطبري وغلبه، إلا انه لم يبين لنا حقيقة هذه المسألة، ولم يدون ما دار بينهما من أقوال في أثناء المناظرة حتى يمكن ان نحكم بصحة هذا القول، ومع ذلك فقد كان الامام الطبري رحمه الله تعالى يفضل المزني ويطريه، ويذكر دينه وعلمه؛ كما نزل في مصر على الربيع بن سليمان المرادي كبير ناشري مذهب الإمام الشافعي رحمه الله تعالى، وكبير مدوني كتبه.

ولم يبق أحد من أهل العلم بمصر إلا لقيه الطبري وامتحنه في العلم الذي يتحقق به ويتثبت منه، كما حدث هو عن نفسه في كلام طويل مذكور في معجم الأدباء(١).

وقد درس العروض بمصر، بعد أن سئل عنه، وكان لم يدرسه بعد حتى أصبح عروضياً، ثم رجع إلى مدينة السلام بغداد، وكتب بها أيضاً.

ثم رجع إلى طبرستان، وهي رجعته الأولى، ثم غادرها، ثم رجع إليها رجعته الثانية سنة تسعين ومئتين هجرية.

ثم غادر طبرستان للمرة الأخيرة، ورجع إلى بغداد، فنزل في قنطرة البردان، وكانت مركزاً لكبار النحويين والمتأدبين(٢).

---

(١) معجم الادباء (ج ١٨، ص ٥٦).
(٢) معجم الادباء (ج ١٨ ـ ص ٦٠ ـ ٦١).

واشتهر اسمه في العلم وشاع خبره بالتقدم والفهم، وقضى بها بقية حياته الكريمة الحافلة بالأعمال العظيمة.

خامساً : شيوخ الطبري وأساتذته :

لقي الطبري في بلده وفي رحلاته الطويلة كثيراً من العلماء والأدباء وأئمة الفقه والحديث وسمع منهم، وأكثر من الكتابة عنهم، وأخذ عن كثير من شيوخ البخاري ومسلم.

وأكتفى بذكر بعضهم على سبيل الاجمال.

١ ـ **أحمد بن حماد الدولابي**: من أهل العلم، ولم نقف على ترجمة له، وهو والد الإمام الكبير أبي بشر بن أحمد بن حامد الدولابي الحافظ المحدث صاحب كتاب (الكنى والاسماء)، وقد توفى سنة ٣٢٠ كما في اللباب، وسنة ٣١٠ كما في العبر وتذكرة الحفاظ.

٢ ـ **أحمد بن عبدالرحمن بن وهب**: ابن أخي عبدالله بن وهب صاحب الامام مالك بن أنس، وأحد الرواة عن عمه، وعن الشافعي، وشيخ مسلم وابن خزيمة المتوفي سنة ٢٦٤، وذكر ابن النديم في الفهرست أن الطبري أخذ فقه مالك عنه، وذكر السبكي في الطبقات أنه حدث عنه.

٣ ـ **أحمد البغوي**: الحافظ الحجة، صاحب المسند المعروف، وجدّ القاسم البغوي لأمه؛ ذكره الخطيب في تاريخ بغداد، وابن الاثير في اللباب، والنووي في تهذيب الاسماء، والذهبي في تذكرة الحفاظ، وقالوا ان الطبري روى عنه وسمع منه.

٤ ـ **أبو العباس ثعلب الشيباني**: البغدادي النحوي الكوفي المعروف بثعلب، شيخ اللغة العربية، وإمام نحاة الكوفة وأعلمهم.. وتلميذ ابن الاعرابي وغيره المتوفى سنة ٢٩١ كما في التذكرة والعبر.

٥ ـ **أحمد بن يوسف التغلبي**: تلميذ أبي عبيد القاسم بن سلام، وشيخ على بن عمرو بن سهل الحريري، وموسى بن عبدالله الخاقاني.

٦ ـ **اسحق بن ابي اسرائيل المروزي** : البغدادي الامام الحافظ الكبير

محدث بغداد الثقة الضابط؛ ذكره الخطيب في تاريخه، والذهبي في تذكرة الحفاظ، وابن السبكي في الطبقات، والحافظ بن حجر في اللسان، وصرحوا بأن الطبري قد سمع منه وروى عنه.

٧ ـ **أبو ابراهيم المزنى** : المصري الإمام الجليل، والفقيه العظيم صاحب الشافعي وناصر مذهبه، وواضع المختصرين من أقواله، المختصر الكبير، والمختصر الصغير، المطبوع بهامش كتاب الأم للشافعي، وهو أصل معظم كتب المذهب المدونة بعده، فقد لقيه الطبري في مصر، وأخذ العلم والفقه عنه، وتباحثا في بعض القواعد الأصولية، وتناظرا في بعض المسائل الفقهية.

٨ ـ **اسماعيل بن موسى السدي** : الفزاري المحدث الكوفي الشيعي ابن بنت السدي تلميذ مالك، ذكره ابن النديم في الفهرست، وياقوت في المعجم، والذهبي في التذكرة، وابن السبكي في الطبقات، وقالوا ان الطبري أخذ الحديث عنه وسمعه منه.

٩ ـ **أبو الاشعث** : ذكره هكذا ياقوت في معجم الادباء، وقال ان الطبري سمع الحديث منه؛ وهو احمد بن المقدام البغوي، الامام المحدث تلميذ حماد بن زيد وطائفة كثيرة، توفى سنة ٢٥٣ كما في العبر والميزان.

فهو غير أبي الأشعث الصنعاني الشامي التابعي المتوفى بعد المائة، تلميذ عبادة بن الصامت، وشيخ أبي قلادة وعبدالرحمن بن يزيد بن جبار الدمشقي المحدث المتوفى سنة ١٥٤ كما في العبر واللباب.

١٠ ـ **بشر بن معاذ المقدي** : لم نعثر على ترجمة له، وذكر في الفهرست أن الطبري أخذ الحديث عنه.

١١ ـ **ابو جريج** : ولم نقف على شيء يتعلق به، ذكره هكذا ابن النديم في الفهرست ضمن من أخذ الطبري الحديث عنهم.

١٢ ـ **أبو حاتم السجستاني** المقرىء المحدث الأديب اللغوي تلميذ أبي عبيدة والاصمعي المتوفى سنة ٢٥٥ كما في العبر.

١٣ ـ **الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني** : البغدادي الامام الجليل المحدث الفقيه الفصيح البليغ الثقة الثبت، أحد رواة مذهب الإمام الشافعي

القديم، بل أثبتهم رواية له كما قال أبو الحسن الماوردي، وقد توفى سنة ٢٦٠ كما في تهذيب الاسماء وطبقات الشافعية والعبر والتذكرة.

لقيه الطبري في بغداد وأخذ عنه مذهب الشافعي القديم، وكتب كتابه المشهور باسمه، كما صرح به ابن النديم في الفهرست، وياقوت في المعجم.

١٤ ـ **داود بن على الاصفهاني** : مؤسس المذهب الظاهري المتوفى سنة ٢٧٠ كما في التذكرة؛ ذكره ابن النديم في الفهرست ضمن شيوخ الطبري، وقال انه قرأ الفقه عليه، وقد ثبت أن الطبري لقيه وأخذ علمه وفقهه، وتناظر معه، ورد عليه.

١٥ ـ **الربيع بن سليمان المرادي** : المصري الامام الحجة الحافظ محدث الديار المصرية صاحب الشافعي وخادمه، وناقل فقهه وعلمه، وكبير مدوني مذهبه، وأوثق رواة كتبه، المتوفى سنة ٢٧٠، كما في تهذيب الاسماء وتذكرة الحفاظ والعبر وطبقات الشافعية.

أخذ الطبري عنه بمصر مذهب الشافعي الجديد، وأكثر من الكتابة عنه كما صرح ابن النديم في الفهرست وغيره.

١٦ ـ **سعيد بن عبدالله بن عبدالحكم المصري** : الفقيه المالكي أحد علماء القرن الثالث الهجري، ذكر في الفهرست أن الطبري أخذ فقه مالك عنه، وقد ذكره ابن فرحون في الديباج المذهب.

١٧ ـ **أبو سعيد الاشج** : عبدالله بن سعيد بن حصين الكندي الكوفي الامام الحافظ محدث الكوفة وتلميذ أبي بكر بن عباس وشيخ ابن خزيمة. المتوفى سنة ٢٥٧ كما في التذكرة والعبر؛ ذكره الخطيب في تاريخ بغداد، والنووي في تهذيب الاسماء، وقالا ان الطبري أخذ الحديث عنه.

١٨ ـ **أبو سعيد الاصطخري** : الامام الجليل قاضي قم وكستان أحد الرفعاء من أصحاب الوجوه في مذهب الشافعي المتوفى سنة ٣٢٨ ببغداد كما في طبقات الشافعية والعبر. ذكر ياقوت في معجم الادباء ان الطبري قد درس فقه الشافعي بالعراق عليه.

١٩ ـ **سليمان بن عبدالرحمن الطلحي** : أبو داود سليمان بن عبدالرحمن بن حماد بن عمران بن موسى بن طلحة بن عبيد الله الطلحي اللؤلوي الكوفي.

قرأ القرآن وعرضه عليه وأخذ القراءة عنه كما في طبقات السبكي وابن الجزري

٢٠ ـ **عماد بن موسى** : كما في معجم الادباء : **أو عمران بن موسى** كما في الفهرست (لم نقف على ترجمة له). وقد أخذ الطبري الحديث عنه وسمعه منه كما صرح ابن النديم وياقوت.

٢١ ـ **عمرو بن علي الفلاسي** : أبو حفص عمرو بن علي الباهلي الصيرفي الفلاسي، الامام الحافظ، أحد الاعلام وتلميذ معتمد بن سليمان. وقد ذكر كل من الخطيب والحافظ في اللسان أن الطبري قد سمع العلم منه.

٢٢ ـ **المثنى بن ابراهيم الآبلي** : ذكره أحمد بن كامل في تاريخه على ما في معجم الأدباء، وقال : ان الطبري قد أكثر من كتابة العلم عنه.

٢٣ ـ **محمد بن بشار بندار** : أبو بكر محمد بن بشار بن عثمان العبدي البصري النساج الامام الكبير الشهير ببندار. سمع الطبري الحديث منه كما في تاريخ بغداد ومعجم الادباء واللباب واللسان.

٢٤ ـ محمد بن عبدالله بن عبدالحكم : أبو عبدالله المصري الامام الفقيه الشافعي المالكي صاحب الشافعي المتوفى سنة ٢٦٨ كما في التذكرة. فقد أخذ الطبري عنه الفقه وسمع منه العلم.

وذكره ابن النديم في الفهرست، وقال ان الطبري أخذ عنه فقه مالك.

٢٥ ـ **محمد بن العلاء أبو كريب التهمداني** : لا التهمذاني كما صحف في معجم الادباء: الكوفي الحافظ الثقة محدث الكوفة تلميذ ابن المبارك وابن عيينه؛ ذُكر أيضا في الفهرست وتاريخ بغداد وتهذيب الاسماء وطبقات الشافعي فقد حضر الطبري الى داره لسماع الحديث منه فامتحنه ابو كريب في حفظه فأعجب به وعظم في نفسه وعرف قدره على حداثته، ومكنه من حديثه، ويقال أن الطبري قد سمع منه أكثر من مائة ألف حديث كما في معجم الادباء.

٢٦ ـ محمد بن المثنى البصري : الحافظ الحجة محدث البصرة، كما في التذكرة والعبر والميزان واللباب. سمع الطبري الحديث عنه كما في تاريخ بغداد واللباب وتهذيب الاسماء.

سادساً : فقه الطبري واجتهاده :

لقد أطبق الأئمة الثقات على ان ابن جرير الطبري من كبار العلماء المتفقهين والأئمة المجتهدين، وأنه دون مذهباً خاصاً اقتدى الكثيرون به، وتلقوه عنه، ونشروه في حياته وبعد مماته، وانه انقرض بعد القرن الرابع الهجري.

فقد ثبت أنه قد اهتم بطلب الفقه عن أئمته، ووقف على مذهب أهل الرأي، ومذهب مالك، والشافعي، وأنه ابتدأ أخذه في بغداد على مذهب الشافعي رضي الله عنه. وأخذ المذهب أيضاً بمصر عن كبار أصحاب الشافعي كأبي ابراهيم المزنى، والربيع بن سليمان المرادي، ويونس بن عبد الاعلى الشافعي، وأخذ بها ـ أي بمصر ـ فقه مالك عن بني عبدالحكم، وابن أخى عبدالله بن وهب، ويونس بن عبد الأعلى أيضا الذي كان من أصحاب مالك قبل أن يصير من أصحاب الشافعي...

وثبت أيضا انه قرأ الفقه على داود بن على الاصبهاني إمام أهل الظاهر الذي كان من كبار مقلدي الشافعي ومتبعيه والمنتصرين لمذهبه قبل ان يستقل بمذهبه الخاص به الذي انقرض في أواخر القرن الخامس الهجري أو بعده.

ثم فتح الله على الطبري وَأهَّله النظر والاجتهاد المستقل، فاختار من مذاهب الفقهاء قولا اجتهد فيه، وأصبح صاحب مذهب خاص وأتباع له. وقد كان قبل ان يستقل بالاجتهاد وبعد ان درس مذهب الشافعي معدودا من كبار الأصحاب في مذهب الشافعي ـ رضي الله عنه ـ الذين لهم آراء خاصة في المسائل التي لم يتعرض لها الشافعي، أو التي خرَّجوا فيها أقوالاً مستندة الى أقوال أخرى له أي للشافعي وكانت آراؤهم تسمى بالوجوه، فمن عده من الشافعية من الاصحاب نظر الى أمره قبل الاستقلال بالمذهب الخاص، ومن لم يعده منهم نظر الى آخر أمره...

سابعاً : تلامذة الطبري والرواة عنه وحاملو علمه وناشرو فكره:

ان تلامذة الطبري الذين تلقوا العلم، ورووه عنه، وتفقهوا عليه، ونشروا علمه ومذهبه ومصنفاته وكتبه لا يبلغهم الحصر، ولا يأتي عليهم الذكر؛ فمنهم:

١ ـ احمد بن أبي طالب الكاتب.
٢ ـ احمد بن عبدالله ابو الحسين الجبي.
٣ ـ احمد بن كامل ابو بكر القاضي
٤ ـ احمد لا محمد كما صحّف في معجم الادباء(١) ابن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي الاستاذ الحافظ ابوبكر البغدادي الشهير بابن مجاهد المتوفي سنة ٣٢٤.
٥ ـ الجعابي.
٦ ـ أبو شعيب الحراني وكان متقدما وأكبر من الطبري سناً.
٧ ـ عبدالغفار الحضيبي لا الحصيبي كما صحف في الطبقات(٢).
٨ ـ عبدالله بن احمد بن جعفر أبو محمد الفوغاني.
٩ ـ عبدالواحد بن عمر.
١٠ ـ ابو الفرج بن ابي العباس الاصبهاني أو الاصفهاني صاحب الاغاني كان يختلف على الطبري ويقرأ عليه كتبه.
١١ ـ ابو القاسم الطبراني.
١٢ ـ محمد الباقرحي.
١٣ ـ محمد بن احمد الداجوني.
١٤ ـ محمد بن محمد بن فيروز الكرخي شيخ أبي على الاهوازي.
١٥ ـ ظن الدكتور الحوفي في كتابه (الطبري ص ٨٥) أن أبا محمد عبدالعزيز بن محمد الطبري. تلميذ للطبري مستندا في ذلك الى انه قد وضع كتابا عن الطبري استمد منه ياقوت الحموي في كتاب معجم الادباء جـ ١٨ مع انه ليس فيما نقله ياقوت عنه ما يفيد انه تلميذ الطبري ولا يلزم من يكون قد ألف كتابا عنه أن يكون تلميذاً له.

---

(١) معجم الأدباء (ج ١٨ ـ ص ٦٣).
(٢) ـ طبقات السبكي (ج ٢ ـ ص ١٣٦).

ثامناً : أصحاب الطبري المتفقهون على مذهبه :

وسأذكر من أصحابه الذين قلدوه وتفقهوا على مذهبه من ذكرهم ابن النديم في الفهرست(١) :

١ ـ احمد بن كامل ابو بكر القاضي، وهو أجل أصحابه وممن كتب عنه، وعن مذهبه.

٢ ـ احمد بن يحيى بن علي بن يحيى بن على بن منصور أبو الحسن المنجم المتكلم.

٣ ـ أبو اسحق ابراهيم بن حبيب السقطي الطبري البصري.

٤ ـ ابو الحسن بن يونس المتكلم.

٥ ـ أبو الحسن الدقيقي الحلواني الطبري.

٦ ـ رجل يعرف بابن اذنوبي.

٧ ـ رجل يعرف بابن الحداد.

٨ ـ علي بن عبدالعزيز بن محمد الدولابي.

٩ ـ أبو الفرج بن أبي العباس بن المغيرة الثلاج(٢).

١٠ ـ أبو القاسم بن العراد.

١١ ـ محمد بن احمد بن محمد بن أبي الثلج أبو بكر الكاتب.

١٢ ـ أبو مسلم الكجي وكان ينتمي الى أبي جعفر الطبري في الفقه مع أنه كان أسبق منه.

١٣ ـ المعافى بن زكريا. أجل الذين اتبعوا مذهب الطبري وانتصروا له ودونوا الكتب الخاصة بمذهبه، هو الامام الجليل والعالم الكبير والاريب الخطير، المعافى بن زكريا بن يحيى بن حميد بن حماد بن داود ابو الفرج النهرواني القاضي المعروف بابن الطرار، أو ابن طراوة الذي كان يقال له الجريري نسبة الى

---

(١) ـ الفهرست (٣٢٧ ـ ٣٢٨).

(٢) معجم الأدباء (ج ١٨ ـ ص : ٩٢ و ٩٣).

ابن جرير الطبري، لأنه كان على مذهبه ومقلداً لـه، على حـد قـول ابن خلكـان، وهو صاحب كتاب الجليس والانيس الذي هو في الواقع أفضل من كتاب الكامل. وقد ولد سنة ٣٠٣ أو سنة ٣٠٥، وتوفي بالنهروان في سنة ٣٩٠ لا سنة ٣٧٠ كما ذكر أولا في إنباه الرواة بما هو زيادة طابع أو ناشر.

تاسعاً : محنة الطبري ورميه بالابتداع والالحاد :

من الأئمة المتقدمين الذين ابتلوا باتهام الرعاع والجهلـة لهم بما هم بـراء منه وبعيدون عنه كل البعد أبو جعفر الطبري، فقد ثبت أن أبا بكـر بن داود بن على الاصفهاني الظاهري صاحب كتاب الزهرة في الحب والغسق كان متأثراً من ابن جرير، حاقداً عليه، من أجل انه ألف كتابا في الرد على مذهب أبيه، فتحايـل عليه واتهمه هو وأصحابه باتهامات مختلفة هو أجل من أن يتصف بها.

وليس من غـرضنـا الكـلام على هـذه المحنـة الخطيرة على وجـه الشرح والابانة والرد والمعارضة في شيء من التفصيل والافاضـة فـان ذلك يحتـاج الى ابحاث مختلفة؛ وانما قصدنا بالتنبيه عليهـا والاشـارة اليهـا مـع الاكتفـاء بما سنذكره من أقوال الأئمة المعتبرين في ابن جرير الطبري وثنائهم عليه واشادتهم بفضله، ونكتفي الآن بالاشارة اليها، والى سببها، ومن أراد التوسع فيها فعليـه بمراجعة تـاريـخ ابن الاثير، وابن كثير، وطبقـات الشـافعيـة، ومعجم الادبـاء، وميزان الاعتدال، ولسان الميزان، وغيرها من المراجع.

وقد نبه الامام الذهبي على أن تشابها في الاسم وقـع بين الامـام الطبري، وبين محمد بن جرير بن رستم، الذي كان فعلاً متهمًا بالضلال والانحراف.

عاشراً : وفاة الطبري ودفنه :

قد انتقل ابن جرير الى رحمة الله في مدينـة بغـداد على الصحيـح الـذي اقتصر عليه جمهرة المؤرخين له.

وما ذكر من أنه توفى بمصر، وأنه مدفون بسفح المقطم باطل لا يصح ان يقتدى به ولا ان يلتفت اليه كما حققه ابن يونس وابن خلكان.

ولا خلاف في أنه قد توفي في خلافة المعتمد بالله الثامن عشر من خلفاء بني العباس المتوفى سنة ٣٢٠ هـ وهناك من يقول انه توفي سنة ٣١١ أو سنة ٣١٦، ولم يرتضه ياقوت ولم يلتفت اليه القفطي وغيره.

ثم ان المؤرخين قد اختلفوا في يوم وفاته ودفنه فقال بعضهم كالخطيب البغدادي والقفطي وابن خلكان: انه مات يوم السبت بالعشية ودفن يوم الاحد بالغداة لأربع بقين من شوال في داره أو في حجرة بازاء داره برجة يعقوب في ناحية باب خراسان.

وقال بعضهم كابن كامل وابن الجوزي وابن كثير قد كانت وفاته وقت المغرب عشية يوم الاحد ليومين بقيا من شوال ودفن ضحوة يوم الاثنين في داره، وقال أحمد بن الفضل الدينوري كما في طبقات القراء لابن الجزري وورى في قبره يوم الاحد وقت الظهر لسبع بقين من شوال.

وقال بسكويه وابن الاثير، وغيرهما انه دفن ليلا بداره لأن العامة اجتمعت ومنعت دفنه نهارا، وادعوا عليه الرفض ثم ادعوا عليه الالحاد، وهذا ما ذكره ثابت بن سنان في تاريخه على ما في المنتظم لابن الجوزي. وقد اختلفوا في أنه توفي عن تسعين سنة أو عن سبع وثمانين أو عن أربع وثمانين سنة وهذا كله اختلاف لا أهمية له، ويمكن التوفيق بين أكثره؛ ولما توفي اجتمع الناس من سائر أقطار بغداد، مع أنه لم يؤذن أحد بموته، وصلوا عليه بداره، وعكف الناس يترددون الى قبره شهوراً يصلون عليه ويدعون له.

وقد رثاه خلق كثير من أهل الدين والادب كابن الاعرابي وابن دريد فرحمه الله، وطيب ثراه وأكرم مثواه.

حادي عشر : أقوال الأئمة فيه وثناؤهم عليه :

ولكي يزول من نفسك أي أثر من المثالب التي ادعاها البعض على ابن جرير ورموه بها، وتعتقد أن الرجل أجل من ذلك وأفضل، وأنه برىء مما طعنوه به كل البراءة، نعرض لك بعض أقوال كبار الأئمة وخيار العلماء فيه فنقول:

١ ـ قال امام الائمة أبو بكر بن خزيمة «مـا أعلم على وجـه الارض أعلم من ابن جرير».

٢ ـ وقال ابو العباس بن سريج الشافعي «محمد بن جرير الطبري فقيـه العالم».

٣ ـ وقد شهد لـه أبـو العبـاس ثعلب بـالحـذق وقـال : ذاك من حـذاق الكوفيين» مع كون ثعلب شديد النفس قليل الشهادة لأحد بالحذق في علمه.

٤ ـ وقال أبو محمد عبدالعزيـز بن محمـد الطبري(١) : كان أبو جعفـر الطبري من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على مالا يجهله أحد عرفه، لجمعه من علوم الاسـلام مـالا نعلمـه اجتمـع لأحـد من هـذه الامـة ، ولا ظهـر من كتب المصنفين وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر لـه. وكـان عـالمـاً في علـوم القـرآن والقراءات وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك واختلاف الفقهاء مع الرواية كذلك.. وقد بان فضله في علم اللغة والنحو.. وقد كان لـه قـدم في علم الجـدل.. وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والامانة وتصفية الاعمال وصـدق النيـة وحقائق الافعال مادل عليه كتابـه في آداب النفـوس.. وكـان يحفظ من الشعـر للجاهلية والاسلام، وكان أ بو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبواب الحساب، وفي الطب وأخذ منـه قسطـاً وافـرا يـدل عليـه كلامه في الوصايا، وكان عازفا عن الدنيا تاركا لها ولأهلهـا، يـرفـع نفسـه من التماسها، وكان كالقارىء الذي لا يعرف الا القرآن، وكالمحدث الـذي لا يعـرف الا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف الا الفقه ، وكالنحوي الـذي لا يعـرف الا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف الا الحساب، وكان عالما بـالعبـادات، جـامعـا للعلوم، واذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلا على غيرهـا، وكـان أبو جعفر ظريفاً في ظاهره، نظيفاً في بـاطنـه حسن العشرة لمجـالسيـه، متفقـدا لأحوال أصحابه، مهذباً في جميع أحواله، جميل الأدب في مأكله وفي ملبسة ومـا يخصه في أحوال نفسه، منبسطاً مع اخوانه، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة.

---

(١) معجم الأدباء (ج ١٨ ـ ص : ٥٩ و ٦٠ و ٨٦ و٨٧).

٥ ـ وقال ابو على الاهـوازي، كما في معجم الادبـاء(١) «كان أبو جعفر الطبري عالما بالفقه والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعـروض لـه في جميـع ذلك تصانيف فاق بها على سائر المصنفين».

٦ ـ وقال ياقوت الحموي : «وهو المحدث الفقيه المقرىء المؤرخ المعروف المشهور».

٧ ـ وقال الخطيب البغدادي: وكان (يعني ابن جرير) «أحد أئمـة العلماء، يحكم بقوله، ويرجع الى رأيه، لمعرفته وفضله وكان قـد جمع من العلـوم مـالم يشاركه فيه احد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب اللـه، عـارفـا بـالقـراءات، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكـام القـرآن، عـالمـا بـالسنن وطـرقهـا صحيحهـا وسقيمها ناسخها ومنسوخها، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الاحكام ومسائل الحلال والحرام، عارفا بأيام الناس وأخبارهم».

٨ ـ وقال أبو الفرج الجريري النهـرواني: كما في الفهـرست(٢) «هو أي ابن جرير علامة وقته وامام عصره وفقيه زمانه.. وكان متفننا في جميع العلـوم علم القرآن والنحو والشعر واللغة والفقه كثير الحفظ».

٩ ـ وقال أبو بكر بن كامل القـاضي: «لم أر بعـد أبي جعفـر أجمع للعلم وكتب العلماء ومعرفة اختلاف الفقهاء وتمكنه من العلوم مثله».

١٠ ـ وقال القفطي: «هو العالم الكامل المقرىء النحوي الحافظ الاخباري جامع العلوم لم ير في فنونه مثله وصنف التصانيف الكبار».

١١ ـ وقـال الشيـخ أبـو اسحـاق الشيرازي: «وهـو صـاحب التـاريـخ والمصنفات الكثيرة..».

١٢ ـ وقال ابن خلكان: «هـو صـاحب التفسير الكبير والتـاريـخ الشهير وكان اماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقـه والتـاريـخ وغير ذلك» وذكر نحوه طاشكبري زاده.

---

(١) معجم الأدباء (ج ١٨ ـ ص ٤٥).
(٢) الفهرست (ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧).

١٣ ـ وقال الحافظ الذهبي: «هو الامام العلم الفرد الحافظ احد الاعلام وصاحب التصانيف» وذكر نحوه ابن الجزري.

١٤ ـ وقال الحافظ السخاوي: «هو أحد أئمة الاجتهاد الجامع من العلم مالم يشاركه فيه أحد من معاصريه الامجاد».

١٥ ـ وقال ابن الاثير في اللباب: «هو صاحب التاريخ والتفسير وكان اماما في فنون كثيرة منها التفسير والحديث والفقه والتاريخ وغير ذلك وله مصنفات كثيرة في فنون عدة تدل على سعة علمه وفضله».

ثاني عشر : أشهر ما ترك لنا من مؤلفات :

لقد أشتهر الامام الطبري بغزارة التأليف، فقد كان أكثر معاصريه انتاجاً في مختلف العلوم الاسلامية، ومن أشهر ما ترك لنا من مؤلفات :

١ ـ **التفسير الكبير** : وهو تفسير القرآن الكريم، وقد قال الامام السيوطي في الاتقان وهو يصف هذا التفسير القيم: «أجمع العلماء على أنه لم يؤلف في التفسير مثله»، وهو مطبوع، ويعرف بجامع البيان في تفسير القرآن.

٢ ـ **كتاب التاريخ** : وهو من أهم «المراجع في كتب التاريخ الإسلامي. وهو مطبوع أيضا، ويعرف بتاريخ الطبري أو أخبار الرسل والملوك، أو تاريخ الامم والملوك.

٣ ـ **كتاب اختلاف الفقهاء** : وهو فريد من نوعه، ذكر فيه آراء الفقهاء الذين سبقوه كأبي حنيفه والشافعي ومالك والأوزاعي وغيرهم، وبين أسباب اختلاف الفقهاء، ويبدو أن جزءاً من هذا الكتاب لا يزال مفقوداً؛ وقد قام المستشرق (كرن) بنشر قسم منه عام ١٩٠٢م، وأتم المستشرق شاخت نشر جزء آخر من هذا الكتاب القيم سنة ١٩٣٢م.

٤ ـ **كتاب تهذيب الآثار** مرتب على نظام المسانيد.

٥ ـ **آداب القضاة والمحاضر والسجلات.**

٦ ـ المسترشد في علوم الدين.

٧ ـ جزء في الاعتقاد.

٨ ـ الجامع في القراءات.

وأخيراً : رحم الله تعالى الامام الطبري رحمة واسعة، وجزاه خير ما جزى عالماً عن قومه ورضى الله عنه، وعن أمثاله من أولئك الذين بنوا لنا هذه الأمجاد، وأشادوا بدمائهم ولحومهم، وشعلة عقولهم، ونور عيونهم ما خضع لفضله وتفوقه العدو والصديق.

وبارك الله في شبابنا المتعلم، وجعل فيهم من يخلف أولئك العلماء علمًا وعملاً وسلوكاً، ونشراً للعلم، وتأليفاً فيه، وذوباناً في تحصيله.

أهم مصادر البحث

الكتاب	المؤلف	وفـــاته	الطبـــــع
الاعلام	للزركلي		
البداية والنهاية	ابن الأثير	٧٧٤ هـ	
الجواهر المضيئة	القرشي	٧٧٥ هـ	
إغاثة الامة بكشف الغمة	للمقريزي	٨٤٥ هـ	الطبعة الاولى
الخطط	للمقريزي	٨٤٥ هـ	الطبعة الاولى
الفهرست	محمد ابن اسحاق ابن النديم	٤٣٨ هـ	بيروت
المختصر في أخبار البشر	لأبي الفداء	٧٣٢ هـ	الطبعة الاولى
النجوم الزاهرة	ابن تغري بردي	٨٧٤ هـ	دار الكتب
الوافي بالوفيات	صلاح الدين الصفدي	٧٦٤ هـ	الطبعة الاولى
بدائع الزهور	ابن إياس	٩٣٠ هـ	دار الكتب
بغية الوعاة	السيوطي		دار الكتب
تاريخ الأمم والملوك	محمد بن جرير الطبري	٣١٠ هـ	دار الكتب
تاريخ التراث العربي	د. فؤاد سزكين	١٤٠٣ هـ	الرياض
تاريخ الشعوب الاسلامية	بروكلمن		
تاريخ بغداد	الخطيب البغدادي	٤٦٣ هـ	دار الكتب
تتمة المختصر	لابن الوردي	٧٥٠ هـ	دار الكتب
تذكرة الحفاظ	للذهبي	٧٤٨ هـ	دار الكتب
تهذيب الاسماء واللغات	للنووي	٦٧٦ هـ	بيروت
تهذيب الكمال	للمزي	٧٤٢ هـ	الطبعة الاولى
سير أعلام النبلاء	للذهبي	٧٤٨ هـ	بيروت
طبقات الشافعية	عبدالوهاب السبكي	٧٧١ هـ	الطبعة الاولى
طبقات الفقهاء	ابواسحاق ابراهيم الشيرازي	٤٧٦ هـ	بيروت
طبقات القراء	محمد بن محمد الجزري	٨٣٣ هـ	بيروت
فهرس الفهارس	للكتاني		الطبعة الاولى
فوات الوفيات	محمد بن شاكر الكتبي		
كشف الظنون	مصطفى بن عبدالله حاجي خليفة		
لسان الميزان	احمد بن علي بن حجر العسقلاني		

الكتـــاب	المؤلف	وفـــاته	الطبـــع
معجم الأدباء	ياقوت الحموي	٦٢٦ هـ	المأمون
معجم البلدان	ياقوت الحموي	٦٢٦ هـ	الطبعة الاولى
معجم المؤلفين	لكحالة		الترقي
معيد النعم ومبيد النقم	للسبكي	٧٧١ هـ	الطبعة الاولى
مفتاح السعادة	طاشكبري زاده	٩٦٨ هـ	الطبعة الاولى
مفرج الكروب	لابن واصل	٦٩٧ هـ	الطبعة الاولى
ميزان الاعتدال	للذهبي	٧٤٨ هـ	الطبعة الاولى
نفح الطيب	احمد بن محمد المقري التلمساني	١٠٤١ هـ	مصطفى محمد
وفيات الأعيان	لابن خلكان	٦٨١ هـ	الطبعة الاولى